الفصل الثامن

اجتثاث المسيحية من أمريكا

"خفر الدين يحجب نيرانها المقدسة وبدون إنذار تموت الأخلاق"[١]
أليكساندر بوب.

"إن شعبا بلا دين سيجد في النهاية أنه لا يملك شيئاً يعيش من أجله"[٢]
تي. إس. إليوت.

في الحرب العالمية الكبرى ١٩١٤-١٩١٨ قاتلت فرنسا الكاثوليكية ضد النمسا الكاثوليكية، وقاتلت ألمانيا البروتستانتية ضد بريطانيا البروتستانتية . ومشى تسعة ملايين عسكري مسيحي إلى حتوفهم . ومع ذلك فروسيا الأرثوذكسية فقط هي التي استسلمت للثورة الشيوعية، وكانت تلك الثورة انقلابا عسكريا أكثر منها تحولا جماهيريا . واستنتج غرامشي أن ألفي عام من المسيحية هي التي جعلت روح الرجل الغربي منيعة لا تخترقها الماركسية .وقبل أن يكون بالإمكان قهر الغرب يجب أن يجتث إيمانه من الجذور، ولكن كيف؟

وجواب غرامشي هو " _مسيرة طويلة " عبر المؤسسات. يجب

على الماركسيين أن يتعاونوا مع التقدميين للاستيلاء على المؤسسات التي شكلت أرواح الشباب: المدارس، والكليات، والسينما، والموسيقى، والفنون، ووسائل الإعلام الحديثة التي دخلت إلى كل بيت بدون رقابة عليها، والراديو، وبعد غرامشي، التلفاز. بعد أن يتم الاستيلاء على المؤسسات الثقافية يستطيع يسار موحد أن يبدأ باجتثاث المسيحية من الغرب. وعندما يتم إنجاز هذا الواجب، بعد عدة أجيال، لا يبقى الغرب هو الغرب، ولكن ستكون هناك حضارة أخرى تماما. وستأتي السيطرة على الدولة لا محالة لاحقة للسيطرة على الثقافة.

ولكن، في الوقت الذي بدأت فيه المسيحية تموت في الغرب، حدث شيء آخر. لقد بدأت الشعوب الغربية تتوقف عن إنجاب الأطفال. وذلك لأن الارتباط بين الإيمان الديني وبين إنجاب العائلات الكبيرة هو ارتباط مطلق. وكلما ازداد الوازع الديني عند شعب، سواء أكان مسيحيا أم مسلما أم يهوديا كان معدل الولادة عنده أعلى. في نيو سكوير، في نيويورك، في أول مجتمع يهودي ملتزم التزاما كاملا في الولايات المتحدة، كانت الأسرة المتوسطة تضم عشرة أطفال.[٣] في كوستروما، في روسيا، فإن فلاديمير اليكسييف، أب لأسرة من ١٦ ستة عشر طفلا في صورة إعلان كبير، وامرأته الحامل تملك بيتا مليئا بالإيقونات. وقال أليكسييف

لأسوشييتد برس "حتى قبل أن نكون مؤمنين فإننا وجدنا معنى في هذا."[٤] وفي ولاية تكساس المعمدانية نجد أن معدل الولادة بين السكان البيض أعلى منه بين السكان البيض في كاليفورنيا المترفين بالملذات . حيثما تنتصر العلمانية يبدأ السكان بالانكماش والموت .

في العام ١٩٩٩، عقد البابا جون بول الثاني اجتماعا أسقفيا للمجمع الكنسي لاستشعار نبض الإيمان في القارة القديمة. ولم تكن الأخبار طيبة. وروى الأساقفة أن العلمانية "تسمم قسما كبيرا من المسيحيين في أوروبا. وهناك خطر عظيم من اجتثاث المسيحية ومن الوثنية في القارة."[٥] أقل من ١٠ بالمائة من الشباب في بلجيكا، وألمانيا، وفرنسا يحضرون إلى الكنيسة بانتظام . وليس هناك مدينة كبيرة في شمال غرب أوروبا يتم فيها تعميد نصف المواليد الجدد.

وفي العام ١٩٩٩ وجد استطلاع قامت به نيوزويك أن ٣٩ بالمائة من الفرنسيين لا يدينون بدين، وأن ٥٦ بالمائة من الإنجليز يعتقدون بإله شخصي.[٦] وفي إيطاليا، يحضر ١٥ بالمائة فقط قداس الأحد، بينما في جمهورية التشيك يكاد الحضور إلى الكنيسة في يوم الأحد لا يصل إلى ٣ بالمائة.[٧] وقد قال الرئيس التشيكي فاكلاف هافل: إن ما نخلقه هو "أول حضارة ملحدة في تاريخ البشرية."[٨] واستمر هافل في التساؤل:

ألا تكون طبيعة حضارتنا الحالية كلها مع قصر نظرها، ومع توكيدها المتكبر على الفرد الإنساني ... ومع ثقتها اللامحدودة في قدرة الإنسانية على احتضان العام الكلي بالمعرفة العقلية، ألا تكون كلها التجلي الطبيعي لظاهرة بسيطة، وهي بتعابير بسيطة، تصل إلى فقدان الإله؟.[٩]

ولكن في الوقت الذي تنشأ فيه هذه "الحضارة الملحدة" الجديدة في أوروبا فإن الشعوب اللازمة لإدامتها قد بدأت تموت. ويبدو أن القانون حديدي: اقتل إيمان الأمة فيتوقف شعبها عن التوالد. وعند ذلك ستدخل الجيوش الأجنبية أو سيدخل المهاجرون ليملؤوا الأماكن الشاغرة. وباجتثاث المسيحية من أمريكا، وجدت الثورة الثقافية مانعا للحمل فعالا مثل فعالية حبة منع الحمل الصغيرة التي جاء بها د. روك. ولكن كيف تسمح أمة "كنسية" مثل أمريكا ومنغمسة في الثقافة المسيحية مثل الولايات المتحدة في الخمسينات من ١٩٥٠، كيف تسمح لنفسها بأن تجرد من دينها وتجتث منها المسيحية علنا بدون قتال تقريبا؟

"أمريكا أمة مسيحية" هذا ما قاله الحاكم كيرك فورديس بشكل مشهور في ١٩٩٢.[١٠] وقبل أن يجلس حاكم مسيسيبي، كان يجري شجب أقواله بوصفه متعصبا غير متسامح لأنه لم يستخدم "يهودية - مسيحية." ومع ذلك، وكما يكتب غاري ديمار في تاريخ

أمريكا المسيحية: قصة لم تقصص، فقد كان الحاكم على حق بشأن جذور أمريكا وأول ٢٥٠ مائتين وخمسين عاما من تاريخها .

أول مستوطنات في أمريكا كانت مشاريع تجارية بروتستانتية. وكان اليهود والكاثوليك أقليات ضئيلة فقط . وعندما كان المؤلف في مدرسة أبرشية في الأربعينات من ١٩٤٠، تحدثت الراهبات بفخر كيف أن واحدا من سبعة وخمسين من الموقعين على إعلان الاستقلال كان كاثوليكيا: وهو تشارلز كارول من كارولتون، ماريلاند.

وفي أول وثيقة لفيرجينيا، فان الهدف المصرح به للمستعمرين هو "نشر الدين المسيحي للشعوب التي ماتزال تعيش في ظلام وجهل بائس للمعرفة الحقيقية وعبادة الله" وأول ست كلمات في حلف ماي فلور هي " باسم الله، آمين "ثم تستمر" بعناية الله ..... بعد أن قمنا في سبيل مجد الله وتقدم الايمان المسيحي .... "وفي الأوامر الأساسية لكونيكتكيت في ١٦٣٩ صرح المجتمعون" كلمة الله تتطلب أنه من أجل إدامة السلام والاتحاد لمثل هذا الشعب يجب أن يكون هناك حكومة منظمة ومحترمة ومؤسسة وفق ما يريد الله ... لصون الحرية ونقاء إنجيل سيدنا عيسى المسيح ".[١١]

في أثناء التأمل في هذا التاريخ في فطور صلاة من المجلس العالمي للقيادة المسيحية في العام ١٩٥٤، قال رئيس المحكمة العليا إيرل وارن:

أعتقد أنه ما من أحد يستطيع أن يقرأ تاريخ بلادنا بدون أن يدرك أن الكتاب المقدس وروح المخلص كانت منذ البداية هي عبقرياتنا الهادية ... وسواء نظرنا إلى أول وثيقة لفيرجينا .. أو إلى وثيقة نيوإنجلاند...أو إلى وثيقة ماساتشوسيتس باي... أو إلى الأوامر الأساسية لكونيكتيكت .... فإن الغرض نفسه موجود وهو: أرض مسيحية حكمتها مبادىء مسيحية.[١٢]

ويرسخ ديمار الحقيقة بما لا يقبل الدحض . فقبل قرنٍ من الحاكم فورداييس، صرحت المحكمة العليا في الولايات المتحدة في العام ١٨٩٢بالقول: "هذه أمة مسيحية."[١٣] وقال حاكم نيوجيرسي وودرو ويلسون في العام ١٩١١: "ولدت أمريكا أمة مسيحية، ولدت لتمثل ذلك الإخلاص لعناصر التدين التي اشتقت من تنزيلات وحي الكتاب المقدس."[١٤] وفي العام ١٩٣١ أعاد القاضي جورج سذرلاند توكيد قرار المحكمة في ١٨٩٢ مسميا الأمريكيين باسم "شعب مسيحي. "[١٥]

وفي بلاسنتيا باي، حيث قام روزفلت بكتابة ميثاق الأطلسي مع ونستون تشرتشل، صرح روزفلت بإن أمريكا كانت قد "أسست على مبادىء المسيحية" وقاد البحارة الأمريكيين والبريطانيين في الغناء "إلى الأمام أيها الجنود المسيحيون."[١٦] وفي رسالة في العام ١٩٤٧ الى البابا بيوس الثاني عشر أكد هاري ترومان "هذه أمة مسيحية."[١٧] وفي قرار في ١٩٥١ من المحكمة العليا كتب القاضي

وليم دوغلاس: "نحن شعب متدين وتفترض مؤسساتنا مسبقا وجود موجود أعلى"[١٨] وأضاف جيمي كارتر: "لدينا مسؤولية لمحاولة أن نشكل الحكومة بحيث تمثل إرادة الله ."[١٩]

إن رد الفعل على فورايس - وهو رد حشوي، وخشن، ومعاد - يخبرنا عن نخبتنا الثقافية أكثر مما يخبرنا عن معتقدات الأكثرية الكبرى الصامتة. ولكن الثورة الثقافية كانت تقوم بإعادة كتابة التاريخ وما تزال، وتبدل التاريخ الحقيقي لتضع مكانه تاريخا مزورا - وهو أن أمريكا لم تكن أبدا بلدا مسيحيا وأن المتعصبين فقط مثل الحاكم فورايس يصرون على القول بذلك. وأما توكيد الرئيس كارتر أن "لدينا مسؤولية لمحاولة أن نشكل الحكومة بحيث تمثل إرادة الله، " فإن ذلك، وفقا للمحكمة العليا، ممنوع بحسب التعديل الأول للدستور. فاذا كنت تريد أن تعيد تشكيل المجتمع الأمريكي من خلال القانون، حسب ما تقول المحكمة، فإن لك أن تستخدم، بصفة أدلة هادية لك، الكتب التي كتبها كارل ماركس، أو راشيل كارسون، أو بيتي فريدان، أو آل غور، ولكن ليس الكتب التي كتبها متىّ، أو مرقص، أو لوقا، أو يوحنا.

كيف اجتثت المسيحية من أمريكا؟ الجواب: استبداديا، وبمقاومة ضئيلة، وهو ما يدعو للدهشة، من شعب يرقى أسلافه ليكونوا بين أعنف الأعداء في التاريخ للحكم غير الديمقراطي.

منذ نصف قرن مضى، استولى على المحكمة العليا قضائيون عقائديون متمذهبون فهموا سلطتها الكامنة في إعادة تشكيل المجتمع. وباستخدام المحكمة لبند الإدماج من التعديل الرابع عشر، فإنها أكدت حقها في أن تفرض على الولايات كل القيود التي فرضها الدستور على مجلس الشيوخ. عند تلك النقطة، كان التعديل العاشر ميتا، وصارت ولايات الاتحاد مناطق خاضعة للمحكمة العليا.

ولأن التعديل الأول منع مجلس الشيوخ من أن يسن أي قانون "بخصوص ترسيخ دين." وطلب من مجلس الشيوخ أن يحترم "الممارسة الحرة" للدين، فإن المحكمة العليا أعادت تفسير الكلمات لتبرر الضرب الاستباقي على المسيحية. وصدر الأمر بإخراج كل الأناجيل المسيحية، والكتب، والصلبان، والرموز، والاحتفالات، والأعياد من الساحة العامة ومن المدارس العامة. فخرج آدم وحواء، ودخل قصة هيذر لها أمّان. (*) وخرجت رسوم المسيح وهو يصعد إلى السماء، ودخلت صور القردة وهي تصعد إلى الإنسان المنتصب القامة. وخرج عيد الفصح، ودخل يوم الأرض. خرجت تعاليم الإنجيل حول لاأخلاقية اللواط، ودخل اللواطيون ليعلموا عن

(*) قصة تحكي عن أسرة مثلية بين امرأتين ومعهما طفلة تحاولان أن تشرحا لها لماذا تتكون أسرتها من أم وأم وليس من أم وأب. وقد أثارت القصة جدلا أخلاقيا حادا.

لأخلاقية كراهية اللواطيين. خرجت الوصايا العشر، ودخلت الواقيات الذكرية.

بالعودة خمسين عاما إلى الوراء، نجد أن المحكمة العليا قد أوقعت سلسلة من الهزائم التي لم تنقطع تقريبا بإيمان آبائنا. وفي العام ١٩٤٨ حكم على التعليم الديني الطوعي بأنه خارج عن القانون في المدارس العامة. وفي العام ١٩٦٢ ألغيت الصلاة في المدارس. وفي العام ١٩٦٣ أعلنت القراءة الطوعية اليومية من الإنجيل بأنها غير دستورية. وفي العام ١٩٨٠ دعا قانون في كنتاكي إلى تعليق الوصايا العشر على جدران الفصول الدراسية، ولكن القانون أسقط لأن الوصايا العشر "لا تخدم أي هدف علماني" وفي العام ١٩٨٥ أعلن في ألاباما أن "لحظة الصمت" في بداية اليوم الدراسي غير دستورية. وفي العام ١٩٨٩ أمرت المحكمة العليا بإزالة منظر ميلاد المسيح من ساحة دار المحاكم في أليغني كاونتي خارج بيتسبيرغ. وفي العام ١٩٩٢ منعت كل الصلوات في تخرج المدارس الثانوية. وفي العام ٢٠٠٠ منع الطلاب من أداء الصلاة بمكبرات الصوت في ألعاب المدارس الثانوية.

وبعد أن جلس طوال ثلاثة عقود على منصة القضاء فإن رئيس المحكمة ريهنكويست قد سمع بما يكفي وأصدر انشقاقا لاذعا. وقال ريهنكويست إن قرار هذه المحكمة:

يحفل بالعداوة لكل الأشياء الدينية في الحياة العامة..فلا التمسك بالرأي ولا لهجته مخلصة لمعنى بند التأسيس، عندما يُستحضر أن جورج واشنطون نفسه، ونزولا على طلب مجلس الشيوخ ذاته الذي أقر قانون الحقوق، أعلن يوما" للشكر العام والصلاة يجب أن يراعى اعترافا وبقلوب شاكرة بالأفضال العديدة والمشهودة من الله تعالى".[٢٠]

والتقليد هو أخلص شكل من النفاق. فبعد أن شعرت المحاكم الدنيا بأن المسيحية مطاردة، بدأت تتفوق على المحكمة العليا. ففي العام ١٩٩٦ قضت الدائرة التاسعة بأن صليبا ضخما منصوبا بصفة تذكار حرب في متنزه عام في يوجين، في أوريغون، هو خرق للدستور. وفي العام ١٩٩٩ أمرت الدائرة السادسة هيئة التعليم في كليفلاند بأن تتوقف عن افتتاح اجتماعاتها بالصلاة، بالرغم من أن مجلس الشيوخ يفعل ذلك كل يوم. وقضت الدائرة الحادية عشرة بأن أي أدعية أو صلوات أو ابتهالات ترفع في حفلات تخرج المدرسة الثانوية هي أعمال مخالفة للقانون.

منذ العام ١٩٥٩. كانت ولاية أوهايو ترفع شعارا لها هو:"مع الله كل الأشياء تكون ممكنة." وكان هذا الشعار يستخدم على وثائق الولاية ونماذج أوراق دفع الضريبة، وهو مطبوع على لوحة برونزية في الجانب المرصوف من الشارع عند مدخل مبنى الجمعية التشريعية للولاية. في العام ٢٠٠٠ أمرت هيئة من ثلاثة قضاة من الدائرة السادسة بإزالة الشعار. لماذا؟ لأن الكلمات جاءت من العهد

الجديد. والأسوأ التعليل بأنها كلمات المسيح نفسه. لو أن أوهايو تبنت شعارا لها كلمات نيتشة "الإله ميت" أو السطر المأخوذ من دوستويفسكي من رواية الإخوة كرامازوف الذي ينص على أنه إذا كان الإله ميتا فكل الأشياء ستكون مباحة، لكان شعار أوهايو عندئذ جميلا.

ماريلين مانسون، مطلقة الصدمات قالت مرة:"يجب على كل عصر أن يكون لديه شخص شجاع واحد على الأقل يحاول أن يضع نهاية للمسيحية، وهو الأمر الذي لم ينجح به أحد [هكذا] حتى الآن."[٢١] افرحي يا ماريلين، فإن المحكمة العليا في صفك. ففي شهر أيار /مايو ٢٠٠١ أيدت قرار محكمة استئناف أمريكية بأمر إلكاهارت، في إنديانا، بأن تزيل من مروج قاعة المدينة عمودا من الصوان بارتفاع ستة أقدام حفرت عليه الوصايا العشر. لقد وقف العمود هناك لمدة تنوف على الأربعين عاما. ولكن بتصويت ستة مقابل ثلاثة رفضت المحكمة أن تسمع استئناف المدينة. ولكن رئيسا للمحكمة العليا مخالفاً في الرأي أشار إلى زملائه بأن صورة لموسى تحمل هذه الوصايا العشر نفسها تزين جدارا في غرفة محكمتهم العليا نفسها.[٤٥٦]

التنافس الديني هو لعبة صفر _ كمية، (رابح - خاسر). وكل ربح لدين واحد هو خسارة من دين آخر. وكان ارتفاع المسيحية قد

نظر إليه على أنه تهديد مميت في القدس من قبل شاؤول طرسوس، الذي أمسك معاطف الرجال الذين رجموا القديس ستيفن الشهيد. وفتح الإسلام للجزيرة العربية وشمال أفريقيا أخاف أوروبا المسيحية. والإصلاح وبروز البروتستانتية كانا أزمة لروما. وحيثما انتصرت الشيوعية حوصر المسيحيون إلى جدار. وعندما منحت العلمانية رعاية مدارس أمريكا كان ذلك هزيمة ساحقة للمسيحية.

من الروضة إلى المرحلة الثانية عشرة، تشكل المدارس العامة قلوب وعقول الأطفال الأمريكيين ومستقبل الأمة. هذا هو المكان الذي يتعلم فيه الأطفال ماذا يعتقدون، وماذا يقيِّمون، وكيف يفكرون، وكيف يعيشون. والآن صدر الأمر للمسيحية، مثل بعض المتسكعين، بأن تخرج من ساحات المدارس، وهذا انقلاب آخر بلا دماء تقوم به الثورة. كم كانت هزيمة كبيرة! اقض ساعة مع البيان الإنساني الصادر في العام ١٩٧٣.

سوف تجمد هناك العقائد التي تحكم ما يجري تعليمه الآن، والذي لم يبق يجري تعليمه في المدارس العامة. "الإيمان بإله يسمع الصلاة.... هو إيمان بلا برهان وقديم فات أوانه. "[٢٣] "المبادئ الأخلاقية التقليدية... تفشل في مواجهة الحاجات الملحة لليوم."[٢٤] "الوعود بخلاص الخلود أو الخوف من اللعنة الأبدية كلاهما وهم

وضار."[٢٥] "العلم يؤكد أن الجنس البشري كان ظهورا من قوى تطور طبيعي."[٢٦] ويتخرج الأطفال من المدارس وهم يتقبلون هذه الأفكار لأنها أفكار قدمت لهم من معلميهم في ما كان متضمناً وما كان مستبعدا من نقاشات الفصول الدراسية حيث صارت المسيحية واغلا غير مرحب به.

العلمانيون الإنسانيون لم يخفوا جدول أعمالهم. فإن بيانهم يؤكد "الحق في ضبط الولادة، والإجهاض، والطلاق" ويضيف بأن "التنوعات الكثيرة من السلوك الجنسي لا ينبغي أن تعتبر - شرا - في ذاتها."[٢٧] "الحرية تتضمن اعترافا بحق الفرد في أن يموت بكرامة، و في القتل الرحيم، والحق بالانتحار."[٢٨] والآن بعد أن قام طاردو الأرواح الشريرة من الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية بتطهير المدارس العامة من المسيحية، فإن هذه العقائد العلمانية يجري تعليمها للأطفال بصفتها حقائق. وهكذا، ففي الوقت الذي تبقى فيه أمريكا مجتمعا وبلدا مسيحيا بالأغلبية الكثيرة، فقد اجتثت المسيحية بشكل كامل من مؤسساتها العامة وثقافتها الشعبية.

وبشكل لافت للنظر، فإن هذا البيان قد نشر في غضون الشهور التي كان فيها ريتشارد نيكسون وسبيرو آغنيو يسجلان نصرا جارفا يضم تسعة وأربعين ولاية على اختيار الضمير

الثالث(*)، لجورج ماك كفرن، في حملة١٩٧٢ عن "الحمض، والعفو العام، والإجهاض". ولكن وبرغم الهزائم الليبرالية في ١٩٧٢، و١٩٨٠، و١٩٨٤، و١٩٨٨، و١٩٩٤، فإن البيان الإنساني ـوهو على بعد أميال خارج التيار الرئيسي في أمريكا عندما نشر لأول مرةـ يجري بالتدريج تطبيقه من طرف الحزب الديمقراطي مع تضاؤل المقاومة الجمهورية. وعلى كل حال، ففي نقطة منه يعتبر البيان خادعا. فهو يؤكد على أن "فصل الكنيسة عن الدولة وفصل الإيديوليوجية عن الدولة هي أمور حتمية ضرورية."[٢٩] ولكن الإنسانية العلمانية دين، وهو دين نخبة أمريكا، وهي التي يجري فرضها بالمحكمة العليا. وربما كان أعظم نجاح لأكبر منافسة للمسيحية هو إقناع المسيحيين بأنها ليست منافسة، بل مجرد أفكار تم الوصول إليها بواسطة العقل فقط.

لقد سُلب المسيحيون بأقلية عسكرية كانت معتقداتها غريبة لأمريكا الوسط، ولكنها نجحت في جعل حلفائها يستولون على

(*) الضمير الثالث هو ضمير الجيل الذي وقف ضد حرب فيتنام وكان جورج ماكغفون ضد هذه الحرب. والضمير الأول، والثاني، والثالث تشير إلى كتاب «تخضير أمريكا لتشارلز رايخ. وقال فيه « ... الضمير الأول هو النظرة التقليدية للفلاح الأمريكي... والضمير الثاني يمثل قيم المجتمع التنظيمي... والضمير الثالث هو الجيل الجديد... يفترض هذا الجيل القيمة المطلقة لكل إنسان... كل نفس إنسانية... لا يؤمن بالعقيدة العدوانية التنافسية في الحياة.» وارتبط اسم ماكغفرن، عدلا أو ظلما، بثلاث قضايا: الحمض، والعفو العام، والاجهاض.

المحكمة العليا ويفرضون جدول أعمالها بالمراسيم. ومهما يحكى ضد الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية فهو لا يعوزه الصبر والدأب. وكما قال سيرفانتيس: أعط الشيطان ما يستحقه.

المسيحيون الذين مازالوا يؤمنون أن المحكمة لم تخلق إلا ميدان لعب مستويا فقط لجميع الأديان إنما يصفرون بعد اجتياز المقبرة. المحكمة أخذت ملعبهم في حوزتها واستلمته وسلمته إلى منافسيهم. ما فقده المسيحيون لن يستعيدوه بدون صراع. في عندما تموت الأمم كان جيم نيلسون بلاك قاسيا على نحو مخصوص على البروتستانت الإنجيليين عندما قال:

> ولكن واحداً من أعظم الأسباب لانحطاط المجتمع الأمريكي طوال القرن الماضي كان ميل المسيحيين الذين يملكون الحلول العملية إلى التخلي عن المنبر لدى أول إشارة للمقاومة. لقد كان البروتستانت الإنجيليون على وجه الخصوص سريعين في الهرب وبطيئين في الوقوف إلى جانب معتقداتهم. وفي الحقيقة، معظم المسيحين قد أخلو من قبلُ "الميدان العام" للجدل الأخلاقي والسياسي بإرادتهم الحرة، قبل مدة طويلة من مجئ دعاة حرية الفكر المدنيون مع آخرين ليعيدونا إلى كنائسنا.[٣٠]

قد يكون هذا قاسيا جدا، ولكن المسيحيين يحتاجون إلى دعوة لليقظة إذا كانوا لا يريدون أن يفقدوا بلادهم، ويحتاجون إلى قادة مهيئين للقتال لإنقاذها. لقد حذر سي.إس. لويس من روح المساهلة

بالحل الوسط وهي الروح التي كانت مجرد عباءة لتغطية عري التردد في العزم والخوف وقال:

> بصفتنا مسيحيين فإننا يستهوينا أن نقدم تنازلات غير ضرورية لأولئك الذين هم من خارج الدين. إننا نستسلم كثيرا جدا.... ويأتي وقت يجب أن نظهر فيه بأننا لا نوافق. يجب أن نظهر ألواننا المسيحية إذا ما كنا نريد أن نكون صادقين مع يسوع المسيح. لا نستطيع أن نبقى صامتين ونتنازل عن كل شئ.[٣١]

بحلول القرن الحادي والعشرين، كان اجتثاث المسيحية من حياتنا العامة كاملا. واحتفالات الفصح، ومناظر ميلاد المسيح، وتراتيل عيد الميلاد، والكتب المسيحية، والقصص، ومواكب الاحتفال، وأيام العطلات كلها قد اختفت تقريبا من مدارسنا العامة و من الميدان العام. ولم تبق المدارس تدار وفق رغبات آباء الأطفال الذين يدرسون في المدارس، أو دافعي الضرائب الذين يساندون المدارس، ولكنها تدار وفقا لإملاءات المحاكم التي تفرض جدول أعمال الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية والبيان الإنساني.

في ميسوري، الجمهورية، نجح الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية وهو يترافع نيابة عن ساحرة من الدين الويكاني بأن يقطع صورة سمكة من ختم المدينة لأن "الرمز موجود في الغالب في المؤسسات المسيحية، وليس في المؤسسات غير المسيحية، ومعظم..

الناس الذين كتبوا رسائل يساندون السمكة عرفوا السمكة على أنها رمز مسيحي."[٣٢]

و في أيار /مايو ٢٠٠١ أقام الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية دعوى لمقاضاة المعهد العسكري في فيرجينيا نيابة عن اثنين من الطلاب، أرادا أن يضعا نهاية لتلاوة دعاء الشكر قبل وجبات المساء.

إن إنزال الله عن عرشه من الحياة العامة الأمريكية لم يتم ديمقراطيا، لقد تم ديكتاتوريا، وما كان آباؤنا ليتسامحوا أبدا بذلك. لماذا سمح شعبُ دين كان مقاتلا في الماضي، أن يحدث هذا، في الوقت الذي كانت فيه الصلاة، وتراتيل الميلاد، وقراءة الإنجيل، وإعلان الوصايا العشر مدعومة بأكثريات ضخمة؟ لأننا نعيش تحت حكم القضاة، ومجلس الشيوخ غير راغب بالمواجهة. إذا كانت أمريكا قد توقفت أن تكون بلدا مسيحيا فهذا بسبب أنها توقفت أن تكون بلدا ديمقراطيا. هذا هوالانقلاب الحقيقي.

لقد تبجح الأمريكيون في الماضي بكل كبرياء بقولهم:" هنا، يا سيدي، الشعب هو الذي يحكم". لم يبق هذا صحيحا. فنحن لا نعيش بحكم الأكثرية في أمريكا. نحن نعيش تحت حكم الأقليات التي يشارك في رؤيتها عما ينبغي أن تكون عليه أمريكا خمسة قضاة من المحكمة العليا، و معظم هؤلاء القضاة لا يستطيع واحد من عشرة من الأمريكيين أن يسمي أسماءهم.

مع اجتثاث المسيحية من أمريكا جاءت الإطاحة بالنظام الأخلاقي القديم المستند على التعاليم اليهودية ـ المسيحية، وجاء تأسيس نظام أخلاقي جديد بناء على البيان الإنساني. مرة أخرى، لم يتم ذلك بالتصويت العام، بل بأمر المحكمة. كان الإجهاض جريمة، والآن هو حق. هكذا تقول المحكمة. والصلاة الاختيارية في المدرسة تخرق الآن التعديل الأول، أما الرقص العاري في النادي الليلي فلا يخرق. عندما صوتت كولورادو في استفتاء عام لوقف شرعنة اللواط، قررت المحكمة العليا أن دوافع المصوتين كانت موضع شكوك ورمت بالتصويت جانبا.

وقالت المحكمة العليا في قرارها المؤرخ في العام ١٨٩٢ كنيسة الثالوث المقدس ضد الولايات المتحدة، قالت إن: "قانوننا ومؤسساتنا يجب أن تكون بالضرورة قائمة على تعاليم منقذ الإنسانية ومتجسدة فيها." "حضارتنا ومؤسساتنا هي بشكل مؤكد مسيحية."[٣٣] أمريكا تلك قد نسخت بأوامر محكمة مختلفة. الإجماع الأخلاقي القديم قد انهار، والمجتمع الأخلاقي الذي بني على ذلك الإجماع لم يبق موجودا".

بعد أن رأت المحكمة العليا الأمريكيين وهم ينحنون لإرادتها، صارت واثقة بشكل عال في انقلابها. وفي قرار صحافة ريتشموند نيوزبيبرز (١٩٨٠) وصف القاضي وليام جيه. برينان النظام

الجديد، فكتب يقول: القضاة "ليسوا مجرد حكام، ولكنهم في ميدانهم صناع القانون."[٣٤] وفي ١٩٨٥ أخبر مدرسة القانون في جورجتاون بقوله " عملية دعاة الأغلبية لها إغراء تحت بعض الظروف، ولكني أعتقد أنها في النهاية لن تنفع. "إن دور المحكمة "هو إعلان أن بعض القيم تسمو على كل شئ، و هي أبعد من أن تصلها الأغلبيات السياسية الموقتة."[٣٥] ما عناه القاضي برينان هو أن قيمه الشخصية كانت تسمو على كل شئ، ولو كان ذلك إرادة الأغلبية الأمريكية.

ويكتب البروفسور ويليام كويرك المؤلف المشارك في كتاب الدكتاتورية القضائية "إن المحكمة، لا الشعب، هي الآن عامل التغيير في المجتمع الأمريكي". وهذا يتناقض مع ما سماه جيفرسون "المبدأ الأم" وهو أن "الحكومات تكون جمهورية فقط بنسبة ما تجسد هذه الحكومات إرادة الشعب وتنفذها."[٣٦]

انتصر وارن، ودوغلاس، وبرينان، وبلاكمون.لم نبق نملك جمهورية. والمسيحية، بعد أن طردت من الميدان العام، تفقد الآن ببطء قبضتها. وفي استطلاع غالوب في ١٩٩٩، فإن ٦٢ اثنين وستين بالمائة من البالغين الشباب قالوا إن الدين كان يفقد تأثيره في الحياة الأمريكية.[٣٧] وأظهرت دراسة أخرى أن "أمريكا فيها من الملاحدة واللاأدريين أكثر مما فيها من المورمون أو اليهود أو

المسلمين."[٣٨] و من أصل أربعة عشر مليون غير مؤمن فإن النصف من جيل غير محدد و ٣١ واحد وثلاثون بالمائة من جيل ازدهار المواليد. و٤٢ اثنان وأربعون بالمائة فقط من الأمريكيين ما يزالون يعتقدون أن المسيحية هي الدين الصحيح.[٣٩] وفي استطلاع برينستون في العام ١٩٩٦ فإن ٦٢ اثنين وستين بالمائة من البروتستانت و ٧٤ أربعة وسبعين بالمائة من الكاثوليك قالوا إن جميع أديان الإيمان جيدة بشكل متساو.[٤٠] وتبقى أمريكا أكبر أمة "متمسحة" في الغرب، ولكن المسيحية فيها بالنسبة للملايين ليست هي الدين القديم الملحاح المقاتل. وماكان تنبأ به الأسقف الإنجيلي الكاثوليكي فولتون جيه. شين في العام ١٩٣١ قد جاء وحدث، فنحن، كما قال شين، ننتج:

> مجموعة من المتساهلين بالدين من الجهلة الأدعياء الذين يحسبون أنه لا يوجد فرق بين الله بوصفه العلة وبين الله بوصفة "انعكاسا عقليا"، والذين يعادلون بين المسيح وبوذا، وبين القديس بطرس، وجون ديوي، وبعد ذلك يوسعون عقليتهم الواسعة إلى تركيب ساحق لا يقول فقط بأن فئة مسيحية معينة هي تماما بنفس الدرجة من الخير. مثل فئة أخرى، بل يقولون أيضا إن دينا عالميا معينا هو تماما بنفس الدرجة من الخير مثل دين آخر.[٤١]

ومع ذلك فما من محكمة أصدرت أمرا لأي كنيسة أن تعيد كتابة صلواتها، أو تراتيلها أو أناجيلها لتتلاءم مع كتاب التعليم

الديني العلماني الجديد. وهذا ما فعلته الكنائس، وبشكل طوعي بل بشكل راغب. لماذا؟ لأكثر الأسباب إنسانية.

فبما أن العديد من الرهبان الشباب والقسيسين أنفسهم لم يبقوا يوقنون بعصمة الحقائق التي كانوا يتعلمونها، وهم لا يريدون أن يُتركوا خلف الآخرين في الوقت الذي يغادر فيه الشباب، فقد حاول الرهبان والقسيسون المستحيل: أن يصالحوا المسيحية مع الثقافة المضادة. ولكنهم في محاولتهم اليائسة لجعل أنفسهم لازمين، لم يعملوا إلا أن جعلوا أنفسهم موضع السخرية فقط.

"فضل عجيب! كم كان حلوا ذلك الصوت الذي أنقذ شقيا مثلي"، كان هذا هو سطر الافتتاح لما قد تكون أشهر الترانيم كلها، وكتبها جون نيوتن في العام ١٧٧٩ وهو القبطان التائب لسفينة عبيد. وفي بعض كتب الترانيم جرى تغيير ذلك إلى "الذي أنقذني وقواني"، أو "الذي أنقذني وحررني."[٤٢] لماذا؟ ليبتعد عن الفكرة غير المريحة عن خطيئة الإنسان وحاجته إلى أن يقبل عيسى المسيح بوصفه مخلصه.

الفقرة الشعرية "أمريكا الجميلة" التي تحتوي على سطور "أيتها الجميلة لأقدام الحجيج/ يا من تباريحها الفياضة بالعواطف المرهفة / هي درب من أجل سنن الحرية..." قد أسقطت من بعض كتب الترانيم وكتب الأغاني.[٤٣] لماذا؟ لأن "الرجل الأبيض داس فوق

الهندي ليطرق ذلك المسار إلى الحرية."[٤٤] كما يقول المحترم رجل الدين هارولد جاكوبس من قبيلة لمبي الهندية.

"أبيض من الثلج يا إلهي العزيز/ اغسلني الآن.." وهي من "اسلك طريقك الخاص، يا إلهي" هي الآن تؤدى في بعض كتب الترانيم على الشكل التالي "اغسلني الآن فورا، يا إلهي/ اغسلني الآن فورا"[٤٥]، ويبدو أن "أبيض من الثلج" تحوي على مضامين عرقية. وكلمات "الأب، والابن، والروح القدس" يجري استبدالها ووضع "الخالق، المخلص، المساند" لجعل التعبير أكثر حيادية من جنس الذكر والأنثى.[٤٦] وتفضل كنيسة ريفرسايد في نيويورك "الأب، والابن، والنفس المقدسة، إله واحد، أم لنا جميعا. " [٤٧]

صلِّ من أجلنا.

"إلى الأمام، أيها الجنود المسيحيون" و "أنا جندي للصليب" هذه الجمل قد شجبت بصفتها متطرفة في الروح العسكرية. "هو يقودني" و "إلهي العزيز وأب الإنسانية"، كلام تعصبي قومي". الله يريحكم أيها السادة المرحون" هي تعبير إقصائي. "دين آبائنا" تعبير من الطبيعي أن يكون تحت النار. والذين يحبون الترنيمة، ولكنهم لا يحبون الإيقاع قد يستخدمون "أمهاتنا" أو "أسلافنا". ولذلك فإن "إله آبائنا" صارت "إله العصور". وبدل "ابن الإنسان" بعض جماعات المصلين يفضلون "الواحد الإنساني".

في العـــام ١٩٨٠، أسس المجلس الوطني للكنائس لجنة من الأكاديميات النساء لكتابة كتاب نبذات تقرأ في الصلوات وتكون غير مميزة بين الجنسين الذكر والأنثى. "إله" استبدل بها قول "الواحد السيد" و"ابن الله" صارت "طفل الله" وإرادة الله في أن يخلق حواء لآدم أعيدت كتابتها لتقرأ "إنه ليس طيبا أن يكون المخلوق البشري وحيدا، سأجعل له رفيقة تتناسب مع المخلوق."[٤٨]

وعندما ظهر المجلد الأول من نبذات للصلوات الشاملة اللغة، في العام ١٩٨٣ كما كتب مايكل نيلسون وهو بروفسور العلوم السياسية في كلية رودس: "بعد أسبوع، أو ما يقارب، من غضب ومرح طائش متبادل، أهملته الكنيسة الكبيرة ليتراكم فوقه الغبار."[٤٩]

على فراش موته قال الملحد فولتير"لم أصل لله أبدا إلا صلاة واحدة، يا إلهي اجعل أعدائي يبدون مدعاة للسخرية. وقد أجاب الله دعاءه."[٥٠] لم تقم أي محكمة بإجبار هذه الكنائس على أن تجعل نفسها حمقاء. لقد أرادوا أن يكونوا لازمين لهم علاقة. وجعلوا أنفسهم غير لازمين ولا علاقة لهم. وقبل توبيخ ذوي الأعمار ممن يبلغون خمسة عشر عاما بسبب الخضوع لضغوط أقرانهم في الجنس والمخدرات، انظروا كما كانت لا تغيير في أداء رؤسائهم الأخلاقيين.

والآن الاستفزازات

في المعجم الشيوعي، لم يكن التعايش السلمي يعني السلام. كان يعني استمرار الصراع بوسائل غير الحرب. وهكذا، أيضاً، فإن الصراع من أجل الهيمنة الأخلاقية لن ينتهي إلا عندما يهزم طرف وينتصر الطرف الآخر. فإذا كان التقليديون يعتقدون أنهم يستطيعون أن يتعايشوا سلمياً مع الثورة الثقافية فإن بإمكانهم أن يعيدوا الزيارة إلى المجادلات التي تحدث في الوقف الوطني للفنون عن معظم الأعمال المتصلة بتدنيس الصور المسيحية والإهانات المتعمدة للنظام الأخلاقي المسيحي....[٥١]

"الفن هو ما تستطيع أن تهرب به." هذا ما قاله آندي وورهول، ولكن بيكاسو رأى الفن بصفته يمتلك هدفا أكثر رصانة. وقال: "الفن ليس لتزيين الشقق. الفن سلاح للثورة.."[٥٢] وويلر ويليامز، وهو واحد من أعظم النحاتين في أمريكا "اعترف أن الغرض من الفن الحديث "كان تدمير إيمان الإنسان بتراثه الثقافي،"[٥٣] وبكلمات أخرى، الفن مجرد جبهة أخرى للحرب الضروس التي تشنها الثورة الثقافية على المسيحية.

في العام ٢٠٠١، استضاف متحف بروكلين رسم عشاء يو ماما الأخير لرينيه كوكس، وفيه صورة عارية تماما لمز كوكس بصفتها

المسيح، مع أحد عشر صديقا أسود بصفتهم رسلا مع رجل أبيض بصفته يهوذا.[٥٤] وعندما شجب العمدة جيولياني "النمط المعادي للكاثوليكية في متحف بروكلين" وأعلن عن هيئة لتضع "معايير للحشمة" قال فيرناندو فيرير رئيس حي برونكس: إن الاقتراح "يبدو مثل برلين في ١٩٣٩."[٥٥]

في الحقيقة، إن الإساءة الفاحشة البذيئة التي تُراكمها مستعمرة الفنون فوق الكاثوليك وأقدس رموزهم تستدعي برلين ١٩٣٩ فعلا، خصوصا صحيفة دير ستورمر لجوليوس ستريتشر التي عاملت اليهود ومعتقداتهم بطريقة مابلثورب، وسيرانو، وكوكس في معاملة الكاثوليك ومعتقداتهم. والفرق؟ معاداة الكاثوليكية، ومعاداة السامية من المفكرين، هي التعصب اليومي للمؤسسة الثقافية. وذلك التحامل ليس محصورا بعواصمنا الثقافية.

في مطلع ٢٠٠١، عرض متحف الفن الشعبي العالمي في سانتا فيه صورة محوسبة مختلطة بلصق الورق على الخيش باسم سيدتنا من غوادالوب، وهي عارية إلا من بيكيني من الورود، ومرفوعة إلى أعلى من قبل ملاك عاري الصدر.[٥٦] وعندما اعترض الأسقف مايكل جيه. شيهان ووصل المتظاهرون الغاضبون، قال توماس ويلسون مدير المتحف في الولاية:"لم نتوقع قطعيا حدوث أي شئ مثل هذا."[٥٧] ودهش القيم على المعرض تي ماريانا نن، وأخبر

نيويورك تايمز بأن "إعادة تصوير" سيدتنا من غوادالوب، وهي أقدس أيقونة عند الكاثوليك المكسيكيين أمر شائع تماماً، والأم العذراء قد سبق تصويرها مثل لعبة باربي، وراكلة كاراتيه، وسحاقية موشومة.[٥٨]

يقال إن الفن هو مرآة الروح. ودعا تي.اس. إليوت الفن بأنه تجسيد دين الشعب. فإذا كان ذلك صحيحا، فمن أو ماذا يسكن في أرواح هؤلاء "الفنانين"؟ ماذا يمكن أن يحدث لو أنهم هَزِئوا بالمحرقة اليهودية بعرض صور محوسبة مختلطة لآن فرانك عارية تلهو مع قوات وحدات الحماية في أوشفيتز؟ أو وضع عرض ساخر لمغن متجول يهزأ بالدكتور كينغ؟

نحن نعرف الجواب، عندما استخدمت الشركة الفرنسية ألكاتل، بإذن من أسرة كينغ، فيلم خطاب كينغ في ذكرى لينكولن في إعلان تلفازي، قال جوليان بوند من الجمعية الوطنية لتقدم الشعب الملون:"هناك بعض الأشياء التي يجب أن تكون مقدسة."[٥٩] في الوثيقة الجديدة تكون صورة فاضحة لمريم العذراء المقدسة أمرا مسموحا، وأما كلمات الدكتور كينغ فلا تدنس لحرمتها.

منذ سنوات، عندما ظهر فيلم النبي الذي كان يعرض فيه وجه محمد ﷺ، وهو كفر في الإسلام، رفضت دور العرض أن تعرض الفيلم خوفا من الانتقام العنيف. وعندما نشر سلمان رشدي آيات

شيطانية، وهي رواية صدر الحكم عليها بأنها إساءة بذيئة من وجهة نظر الإسلام، قضى المؤلف سنوات وهو مختبئ نتيجة الفتوى، وحكم الإعدام الذي فرضه آية الله الخميني. والآن، إن الفتاوى، والقنابل المتفجرة ليست هي الطريقة الأمريكية للاحتجاج، ولكن المقاطعات الاقتصادية والعقاب السياسي طرق أمريكية. وعندما قيل للمسيحيين أن "يديروا الخد الآخر"، فقد كان ذلك للإهانات الشخصية الموجهة لهم، وليس للإهانات الموجهة ضد الله. المسيح نفسه استخدم السوط ليخرج صرافي المال من المعبد.

في العام ١٩٩٠، قام جيمس اف كوبر محرر فصلية الفنون الأمريكية بوضع إعلان عن احتياج. ومثلما سبق لهوراس غريلي أن حرض محاربي الحرب الأهلية بأن "اذهب للغرب، أيها الشاب!" فإن كوبر حرض محاربي الحرب الباردة، "استردوا السيطرة على الثقافة!"[٦٠] أيها المحافظون، وقال:

> يبدو أنهم لم يقرؤوا أبداً ماوتسي تونغ بشأن شن الحرب الثقافية على الغرب. مقالات (ماو) كانت قراءة موصى بها لجيل هربرت ماركيوز في الستينات من١٩٦٠، وهو الجيل الذي يدير الآن مؤسساتنا الثقافية...المحافظون كانوا غير مدركين للحقيقة التي هي ... إن الفن الحديث - بعد أن انفصل طويلا عن مثالية مانيت، وديغاس، وسيزان، ورودين - قد تحول إلى مغذ للإيديولوجية المدمرة، المنحدرة، القبيحة، الفضائحية، الماركسية، المعادية لأمريكا.[٦١]

وعلى هذه الهجمات على إلههم، ومعتقداتهم، ورموزهم المقدسة، وأبطالهم القديسين، وبطلاتهم من سيرانو، ومابلثورب، وكوكس وجماعتهم كان جواب المسيحيين ضعيفا بل كان محزنا. وكما يحب ريجيس فيلبن أن يقول:" هل ذلك هو جوابكم النهائي؟".

حقوق الشاذين والحقوق المدنية؟

الصراع من أجل روح أمريكا لن يتلاشى. ففي ربيع العام ٢٠٠٠، رفعت طالبة سحاقية في جامعة تَفْتس دعوى بوجود التفرقة، وكانت دعواها ضد فرع الحرم الجامعي للرابطة المسيحية بين الجامعات، وذلك لرفض الفرع السماح لها بأن تخدم في مجلس قيادة الفرع. ورد قائد الفرع في الدفاع عنه بالقول:"عندما تطلب منا أن نترك الإنجيل فإنك تطلب منّا أن نتخلى عن قلب ديننا".[٦٢]

النتيجة: محكمة طلاب أمرت بأن يسحب الاعتراف من الرابطة المسيحية في تفتس، وألا تمول، وتحرم من الحق في الاجتماع في الحرم الجامعي. وقيل للفرع، أن يسقط تفتس من اسمه. وحيّت أكثرية من الطلاب تلك المحكمة. وقالوا: إن عدم معاملة اللواطيين بالتساوي هو تعصب. وبعد أن أخذت الرابطة المسيحية في تفتس قضيتها إلى العلن، ربحت إلغاء الحكم، ولكن هذا نذير لما هو قادم.

ما حدث في تفتس كان صداماً للأديان. تعاليم الثورة تعلم بأن اللواطية تفضيل وليس خطيئة، وأن الذين يعاملون الشاذين والسحاقيات معاملة مختلفة هم متعصبون يجب أن يفضحوا ويعاد تثقيفهم. وفي المسيحية الإنجيلية، اللواط غير طبيعي وغير أخلاقي. وهذا هو قلب حرب الثقافة: معتقدات مَنْ سوف تكون هي أساس القانون؟ في تفتس، الإيمان الجديد باختصار حل محل القديم، وتوجه الأمر إلى المسيحين بأن ينسجموا أو أن يغادروا. الثورة سوف تتعايش حتى تصل إلى السيطرة. فإذا هيمنت سوف تملي إملاء.

ولكن أي القولين هو الصحيح؟ هل اللواطية اضطراب أخلاقي أم هي نمط حياة أخلاقي ومشروع؟ إن الدكتور تشارلز سوكارايدس مؤلف لعدد من الكتب وحائز على جائزة الأستاذ المتميز لجمعية علماء نفس التحليل النفسي للخدمة الصحية البريطانية، وعالج اللواطيين طوال أربعين سنة. لقد ساعد ثلث مرضاه على أن يعيشوا حياة طبيعية عادية بالزواج وبإنجاب الأطفال. ويصف الدكتور سوكرايدس كيف أن الثورة الثقافية غيرت ما كان "مرضا" إلى "نمط حياة". ويكتب الدكتور فيقول: هؤلاء "المغيِّرون":

> لم يلاحقوا رجال الدين في الأمة. لقد استهدفوا أعضاء من رجال الكهنوت الدنيويين، جماعة العلاج النفسي، وحيدوهم بإعادة تعريف

اللواطية نفسها بشكل جذري. في العام ١٩٧٢، و١٩٧٣، تعاونوا مع قادة جمعية العلاج النفسي الأمريكية ومن خلال سلسلة من المناورات، والأكاذيب، ومخادعات مفضوحة "شفوا" اللواطية بين عشية وضحاها - بالأمر العشوائي. لقد جعلوا جمعية العلاج النفسي الأمريكي تقول إن مثلية الجنس "ليست اضطرابا" إنها مجرد "حالة" وهي حيادية مثلما أن الكتابة باليد اليسرى حيادية.[٦٣]

وقال الدكتور سوكرايدس: "والذين لم يتماشوا منا مع إعادة التعريف السياسي، أسكتوهم في الحال في اجتماعاتنا المهنية. وألغيت محاضراتنا في الوسط الأكاديمي وخفضت أوراق البحث التي نقدمها للمجلات العلمية المتخصصة. وأسوأ الأشياء كانت ستتبع في الثقافة على وجه العموم."[٦٤] ما هي؟

بدأ منتجو التلفزة والسينما بعمل قصص تروج اللواطية بصفتها نمط حياة مشروع. وقالت هيئة مراجعة شاذة لهوليوود كيف ينبغي أو لا ينبغي لها أن تتعامل مع اللواطية. والناشرون من التيار العام قللوا من الكتب التي اعترضت على ثورة الشذوذ. والشاذون والسحاقيات أثروا على التربية الجنسية في مدارس أمتنا ودعاة تحرر الشواذ والسحاقيات سيطروا سيطرة واسعة على لجان هيئة التعليم في كليات أمتنا. ومجالس التشريع لمستوى الولاية ألغت قوانين كانت سارية ضد السدومية.[٦٥]

في فيلادفيا، صور توم هانكز محاميا يحمل الإيدز مضطهدا وضحية لزملائه المتعصبين. وهوليوود أعطت هانكز جائزة أوسكار لقاء أدائه الصحيح سياسيا. ولكن سوكرايدس، الذي يزعم معدلا للشفاء للواطيين على نفس معدل جودة الشفاء في عيادة بيتي فورد، لم يستسلم قط، كما لا ينبغي للتقليديين أن يستسلموا. وذلك لأن اللواطية ليست تحريرا، بل هي عبودية. وهي ليست نمط حياة، بل هي نمط موت. ومع بدء مرض الإيدز، كان مرضى الدكتور سوكرايدس يقولون له: يا دكتور، لولا أنني الآن قيد العلاج لكنت قد مت".[٦٦]

إن الذين يعتقدون أن حركة حقوق الشواذ هي حركة الحقوق المدنية للقرن الحادي والعشرين يغيب عنهم فرق أساسي. إن قضية الحقوق المدنية تستطيع بنجاح أن تستحضر الإنجيل، والقانون الطبيعي، وتوماس جيفرسون نيابة عن العدالة المتساوية أمام القانون. أما حركة حقوق الشواذ فلا تستطيع ذلك. جيفرسون اعتبر اللواطية أسوأ من الحيوانية. وبصفته حاكم فيرجينيا في العام ١٧٧٩ حض على أن يكون عقاب الفعل السدومي مثل عقاب الاغتصاب.[٦٧] ويرى الإنجيل، والعقيدة الكاثوليكية، والقانون الطبيعي أن هذا الفعل بغيض وأن المجتمع الذي يحتضنه مجتمع منحط. وعلى المسيحيين أن يصلحوا مثل هذه المجتمعات أو أن ينفصلوا عنها.

كتب مارتن لوثر كينغ في رسالة من سجن بيرمنغهام يقول:"القانون العادل هو نظام من صنع الإنسان ينسجم مع القانون الأخلاقي أو مع قانون الله. والقانون الظالم هو نظام غير منسجم مع القانون الأخلاقي. ولوضع ذلك بكلمات القديس توماس الأكويني: القانون الظالم هو القانون الذي لا جذور له في القانون الخالد والقانون الطبيعي.[٦٨] ولكن قوانين حقوق الشواذ لا تنسجم مع "قانون الله"، وهي ليس "لها جذور في القانون الخالد أو القانون الطبيعي." وبشروط الدكتور كينغ، تكون قوانين حقوق الشواذ قوانين ظالمة "غير منسجمة" مع القانون الأخلاقي. وعندما تفرض هذه القوانين سوف يقاومها المسيحيون. وهي قلما تكون صيغة مناسبة من أجل الوحدة القومية.

الطريقة الوحيدة التي تستطيع من خلالها حركة حقوق الشواذ أن تنجح في جعل المجتمع يقبل اللواطية بوصفها طبيعية، وعادية، وأخلاقية، وصحية هي أن تعمل تلك الحركة أولا على اجتثاث المسيحية من ذلك المجتمع. ولا يمكن الإنكار بأنهم يحرزون تقدما.

التجربة العظيمة

ما نحاول أن نعمله جرئ حقاً. فمثل إبليس وآدم (عليه السلام) قرر الإنسان الغربي أنه يستطيع أن يعصى الله بدون عواقب وأن يصير هو إله نفسه. وبرمي الإنسان الغربي للمسيحية يكون لسان حاله يقول: "من خلال العلم الطبي وعلم الحياة، تعلمنا كيف نمنع الحياة، وكيف نطيل الحياة، وكيف نخلق الحياة، وكيف نستنسخ الحياة. ومن خلال التقانة العسكرية نعرف كيف نربح الحروب الآن بدون خسارة جندي واحد. ومن خلال فهمنا للسياسات المالية والنقدية نعرف كيف نمنع الركود الاقتصادي، وقريبا سوف نعرف كيف نمنع الكساد الاقتصادي. واقتصادنا العولمي يَعِدُ بالرفاهية للجميع من خلال الأسواق الحرة والتجارة الحرة. والديمقراطية العولمية ستجلب لنا السلام العالمي، وسيكون لنا مكانها مؤسسات حكومة عالمية. الزمن والنوايا الطيبة ستأخذنا هناك. الله كان مدرب طيران جيد، أما الآن فلم نبق بحاجة إليه. سوف نتسلم منه."

اجتثاث المسيحية من أمريكا مقامرة كبيرة، رمية تدحرج حجر الزهر، وحضارتنا هي موضع الخطر. أمريكا ألقت البوصلة الأخلاقية من سفينتها في البحر، وهذه البوصلة الأخلاقية هي التي وجهت الجمهورية طوال مائتي عام، وهي الآن تبحر بالتخمين الملاحي. العقل وحده، بدون الوحي، يحدد مسارنا. وقد حذر الآباء

المؤسسون من أن هذا كان جسرا بعيدا جدا. ما من بلد يمكن أن يبقى حراً ما لم يكن ذا فضيلة، هكذا قالوا، ولا يمكن أن توجد الفضيلة في غياب الإيمان. وقال واشنطون في الخطاب الوداعي لا "تتساهلوا مع الافتراض أن الأخلاق يمكن أن تصان بدون دين." وقال: "من بين كل النزعات والعادات التي تقود إلى الرفاهية، يكون الدين والأخلاق هما المساندين اللذين لا غنى عنهما."[٦٩] ووافق جون آدمز على ذلك وقال: "دستورنا لم يوضع إلا لشعب أخلاقي متدين فقط. إنه لا يكفي بشكل كامل لحكومة أي شعب آخر."[٧٠] تمعن في ما حدث لمجتمعنا مع الإطاحة بالنظام الأخلاقي القديم.

- واحد من كل أربعة أطفال يولدون للنساء البيض هو خارج الزواج. في العام ١٩٦٠كانت النسبة٢بالمائة.[٧١] ثلاث من كل أربع نساء من البيض غير المتزوجات كان لهن علاقات غرامية مع بلوغهن سن التاسعة عشرة. في العام ١٩٠٠ كان الرقم ٦بالمائة.[٧٢] حالات انتحار المراهقين دون العشرين ثلاثة أضعاف ما كانت عليه في مطالع الستينات من ١٩٦٠، [٧٣] وعلامات الامتحان لطلاب الثانوية العامة هي الآن من بين أخفض العلامات في البلاد الصناعية.

- عدد حالات الإجهاض في الولايات المتحدة الآن تصل إلى ١,٢-١,٤ مليون إجهاض في كل عام، وهذا أعلى معدل في الغرب، منها

٤٠ أربعون مليون حالة إجهاض تمت منذ قضية رو ضد ويد. عدد الولادات للنساء المتزوجات في الولايات المتحدة بلغ ٤ أربعة ملايين ولادة في العام ١٩٦٠. وهبط إلى ٢,٧ مليون ولادة في ١٩٩٦.[٧٤]

- معدل الطلاق في الولايات المتحدة الأمريكية ارتفع ٣٥٠ بالمائة منذ العام ١٩٦٢، وثلث جميع الأطفال الأمريكيين يعيشون الآن في بيوت فيها أحد الوالدين فقط.[٧٥]
- مليونان من الأمريكيين تقريبا موجودون في الحجز أو السجن، و٤,٥ مليون في فترة تجريبية أو مطلق السراح بشرط حسن السلوك. في العام ١٩٨٠ كان مجموع من هم في السجن والحجز ٥٠٠,٠٠٠ خمسمائة ألف نزيل.[٧٦]
- هناك ستة ملايين مدمن مخدرات في الولايات المتحدة.[٧٧]
- في مجتمع الأمريكيين الأفارقة، ٦٩ بالمائة من كل الولادات تتم خارج الزواج. وثلثا الأطفال يعيشون في بيوت فيها أحد الوالدين فقط، و٢٨,٥ بالمائة من الأولاد يستطيعون توقع قضاء حكم في الحجز أو السجن.[٧٨] في المدن الكبرى أربعة من كل عشرة من الذكور السود من ذوي الأعمار بين السادسة عشرة والخامسة والثلاثين هم في الحجز أو السجن أو هم في مدة تجريبية أو مطلقو السراح بشرط حسن السلوك. المخدرات مستوطنة.

والأطفال لا يدرسون في المدارس. الأطفال الأمناء وبضمير يخوَّفون ويضربون. والفتيات يجري التحرش بهن من أعضاء في عصابات بتكرار عال باستخدام المخدر والضرب.

هذه إحصاءات مجتمع منحط وحضارة تموت، وهي الثمار الأولى للثورة الثقافية التي تجتث المسيحية من أمريكا. وعندما يقرأ المرء هذه الإحصاءات فإنه يتذكر ويتيكر تشامبرز في الشاهد: "التاريخ يغص ببقايا مبعثرة من حطام الأمم التي أصبحت غير مبالية بالله وماتت."[٧٩] ومرة أخرى جيم نيلسون بلاك يقول:

> لايهم إلى أي مدى تنظر بعيدا إلى الخلف، وستجد أن الدين كان دائما أساسيا للمجتمعات العظيمة. وسواء أكان ذلك في الهند أو الصين أو فلسطين أو اليونان أو قرطاجة أو أفريقيا أو حضارة جنوب أمريكا، وأمريكا الوسطى، فإن القصة دائما هي ذاتها: الحضارة تنشأ من الدين، وعندما تتآكل المعتقدات التقليدية لأمة من الأمم، فإنها تموت.[٨٠]

لقد بدأت أوروبا تشبه الولايات المتحدة. بين العام ١٩٦٠و العام ٢٠٠٠ حلقت عاليا نسبة الولادات خارج الزواج في كندا من ٤ بالمائة إلى ٣١ بالمائة، وفي المملكة المتحدة من ٥ المائة إلى ٣٨ بالمائة، وفي فرنسا من ٦ بالمائة إلى ٣٦ بالمائة.

وقال الكاردينال كورماك ميرفي أوكونور، رئيس أساقفة

ويستمينستر مخبراً جمعاً من الكهنة في أيلول /سبتمبر ٢٠٠١: إن المسيحية بصفتها دليلاً للحياة الأخلاقية للناس في بريطانيا قد "قهرت". وقال الكاردينال: إن الناس الآن يبحثون عن السعادة في الكحول، والمخدرات، والكتابات الفاضحة، والجنس المسلي، هكذا قال الكاردينال وهو يردد صدى رئيس أساقفة كانتبري الدكتور جورج كاري الذي لاحظ قبل عام مضى أن "إلحادا ضمنيا يسود. وأن الموت يُفترض بأنه نهاية الحياة. وأن تركيزنا على هنا والآن يجعل فكرة الخلود غير ذات موضوع."[٨١]

ولكن ما هو خزان فضلات لإنسان معين يكون الحوض الساخن لإنسان آخر. فلماركسي مخلص تكون كوبا كاسترو جنة إذا ما قورنت بكوبا الخمسينيات من ١٩٥٠ وتكون مجتمعا أكثر عدلا وحشمة مما خلقه المنفيون في ميامي. ولنخبتنا الثقافية فإن الطلاقات، والإجهاضات، ولغو المفاهيم المسيحية المتقادمة العهد مثل الزواج الكنسي قد ينظر لها على أنها صوى في طريق الحرية.

ولكن كيف نخلق أمة أخلاقية ومجتمعا جيدا إذا لم نتفق حتى على ماهو أخلاقي و ما هو جيد؟.

عندما صار الكشافة متعصبين

قال عالم اللاهوت هنري فان تيل:"الثقافة هي الدين وقد برز للخارج وصار صريحا". وكتب رسل كيرك، وهو يردد أصداء المؤرخ كريستوفر داوسون، يقول: إن الثقافة كلها ذات جذور في "الشعائر"، أي، في الدين. ويحاجج بروس فروهنن ويقول:"هذا لم يبق مجرد لعب بالكلام." وبروس فروهنن هو الزميل الكبير في مركز رسل كيرك للتجديد الثقافي:

> الثقافة والشعائر تشتركان في جذر واحد في اللاتينية يعني يفلح الأرض ويحرثها ويربي، مثلما هو المعنى في فلاحة الإنسان لحديقته أو في تربية الإنسان لشخصيته... وكانت نقطة داوسون هي أن الشعب ينمو معا من عبادته المشتركة. ومثلما ينمي الشعب عادات الطقوس المشتركة_سواء أكانت طقوسا رسمية أو غناء بسيطا للتراتيل _فهو أيضا ينمي عادات اجتماعية تخص أشياء مثل المطبخ، والفن، والشعائر اليومية. هذه العادات المشتركة تربط أفراد الشعب معا في ثقافة مشتركة. وهذه العادات المشتركة تربط أيضا، إلى الأبد، ثقافة الشعب مع دينه المشترك.[٨٢]

إن هدف العلمانيين هو قطع الروابط بين ثقافتنا وبين "الدين المشترك." فإذا حدث ذلك تموت الثقافة. ومرة أخرى الدكتور كيرك:

> كل الثقافة تنشأ من الدين. وعندما يفسد الإيمان الديني، لابد أن تتدهور الثقافة، على الرغم من أن الثقافة تبدو غالبا وكأنها تزدهر

لفترة من الزمان بعد أن يكون الدين الذي كان قد غذاها قد غرق في تكذيب الإيمان. ولكن لا يستطيع الدين أن يعيش إذا بتر عن ثقافة صحية، كما لا ينبغي للشخص المثقف أن يبقى غير مبال للتآكل الذي يصيب إدراك المتعالي.[٨٣]

إن كون هذه الحرب الثقافية بهذا الشكل حرباً دينية يمكن رؤيته في المناوشة الأخيرة - معركة الكشافة. وحسب كتاب الطلاب الكشافة الصادر في ١٩١١. "ما من شاب يستطيع أن يكبر ليكون أفضل نوع من المواطنين بدون أن يعترف بالتزامه نحو الله."[٨٤] وينص وعد الطالب الكشاف، "أتعهد بشرفي بأني سوف أؤدي واجبي نحو الله ونحو بلادي."[٨٥] وينص الموقف الرسمي للكشافة «السلوك اللواطي يتناقض مع المتطلبات الموجودة في قسم الكشاف التي تطلب أن يكون الكشاف "مستقيما أخلاقيا"»[٨٦]

ومنذ تشكيل كشافة أمريكا تمسكت بصدق بهذه المبادئ. ولكن بينما بقي الكشافة صادقين مع معتقداتهم، قام الرأي الدارج على الموضة بعملية تنكيس. فما كان استقامة أخلاقية في ١٩٨٠ صار تعصباً لا يطاق في ٢٠٠١. وبحسب نيويورك تايمز فإن كشافة اليوم هم "شيء قريب الشبه إلى جماعة بغضاء."[٨٧] وإما أن يقوم الكشافة بالانسجام مع النظام الأخلاقي الذي تغير من جراء الثورة الثقافية، وإلا فإن الكشافة سوف تعزل اجتماعيا، ولاتمول، وتدمر.

ببساطة لا تستطيع الثورة أن تتعايش مع منظمة كشافة ضخمة ومحترمة ومحبوبة، ولكنها تشكل أرواح الشباب بطرق تجدها الثورة طرقا بغيضة. وهكذا فعلى الطاولة طلب غير قابل للتفاوض: يمكن للكشافة أن تستعيد مكانها المحترم في المجتمع إذا ما أسقطت فقط معتقدات أساسية معينة ووضعت مكانها المعتقدات المضادة. وبشكل محدد، فإن الملاحدة واللواطيين يجب أن يسمح لهم بأن يكونوا كشافة ورؤساء فرق كشافة.

قال دون كورليون: "نقدم له عرضا لا يستطيع أن يرفضه" الثورة تعرض على الكشاف عرضا لا يستطيع الكشاف أن يرفضه وهو: اخضع، وغير معتقداتك وإلا سندمرك.

وإذا ما أخذنا في الاعتبار ما حدث للكنيسة الكاثوليكية، وهو فشل عملية الفرز في اقتلاع الرهبان الذين يحتمل أن يميلوا جنسيا إلى الأطفال، وهو ما أدى إلى فواجع لأولاد المذبح وفضائح للكنيسة، فإن سياسة عدم السماح للواطيين بحضور مخيمات الكشافة وأشبال الكشافة تبدو حكما متعقلا حصيفا بسيطا. ولكن الإيديولوجية قد شلت الحكم الحصيف. والاتحاد الأمريكي للحريات المدنية يدافع اليوم عن حقوق الشواذ في قيادة فرق الكشافة وحق جمعية حب الرجل للطفل في شمال أمريكا في أن تنشر كتيبات عن كيفية اختيار أطفال والتهرب من الشرطة - أي، كيف تعمل

لمساعدة الميالين للأطفال جنسيا للإفلات من تهمة الاغتصاب المنصوص عليها في القانون. ومقدمو الدعوى في قضية ضد جمعية حب الرجل للطفل في شمال أمريكا هم الآباء لصبي يبلغ من العمر عشرة أعوام وقد اغتُصب وقُتل بيد أحد أعضاء تلك الجمعية.[٨٨]

أين تقف معركة الكشافة؟

برفض المحكمة العليا في نيوجيرسي ادعاء الكشافة بأنها منظمة خاصة، وبالتالي فهي تستثنى من قوانين الدولة عن التمييز، فإن تلك المحكمة أمرت الكشافة بأن تقبل الشاذين باسم هدف أسمى وهو: "استئصال سرطان التمييز."[٨٩] وهكذا، ساوت المحكمة بين مبادئ الكشافة والعقيدة المسيحية بأن اللواطية "ليست استقامة أخلاقية" وبين "سرطان" في المجتمع الأمريكي.

في قرار خمسة ضد أربعة، أعفت المحكمة العليا للولايات المتحدة الكشافة من أن يقرروا ما إذا كان يجب عليهم أن يكونوا صادقين مع معتقداتهم المتركزة على الله أو أن ينكسروا بسلطة الدولة. ولكن شجاعة الكشافة تكلفهم مليون دولار في التمويل. في نيويورك، وكاليفورنيا، وماساتشوسيتس، ومنيسوتا، قطعت مجالس إدارة المدارس علاقاتها مع الكشافة وحرمتهم من الوصول إلى منشآت المدارس. وقامت الحكومات المحلية في ميامي بيتش وفورت لودرديل بشجب موقف الكشافة. وقطع اثنان وثلاثون فرعا من

منظمة الطريق المتحد اتصالاتهم مع الكشافة. وأنهت مساندتها للكشافة مؤسسات ليفي شتراوس، وولز فارغو، وتكسترون. وأرسل اتحاد التجمعات العبرية مذكرة للمنظمات المنضوية تحته يحثها على قطع العلاقات مع الكشافة. واستقال مخرج الأفلام ستيفن سبيلبرغ من الهيئة الاستشارية للكشافة الأمريكية مع بيان يقول:"السنوات الأخيرة في الكشافة أحزنتني حزنا عميقا لأني أرى كشافة أمريكا تساهم بنشاط وبشكل علني بالتمييز. إنه لعار حقا."[٩٠] وعندما شاركت كشافة الصقر في احتفالات الافتتاح في المؤتمر الديمقراطي في لوس أنجيلوس صفرت البعثات لهم. وكتب المراسل فاليري ريتشاردسون يقول:

> تحت الظروف العادية، يكون الاستهزاء بالأطفال هو نوع من السلوك الذي يلقى عقوبة من المبعوثين، هذا إذا لم يطرد المبعوث طردا تاما من المؤتمر. ولكن أي شخص يتوقع من القيادة الديمقراطية أن توبخ منتقدي الكشافة يكون حاضرا في المؤتمر الخطأ.
>
> لقد صارت مساندة حقوق الشاذين جزءا لا يتجزأ من العقيدة الديمقراطية، وهي منيعة على الهجوم مثل مناعة الموافقة على حق الاختيار بيت الإجهاض و الحمل أو المبادئ الأساسية للحزب في الحقوق المدنية.[٩١]

في نيسان/أبريل ٢٠٠١ أيقظت الثورة الثقافية مدفعية الحصار عندها، وفي برنامج ستين دقيقة في محطة سي. بي. اس، وفي ما

سماه كاتب الافتتاحية نات هنتوف "هجوما" و "الإخبار المؤذي" قصف الكشافة بسبب التعصب.[٩٢] ومن أجل الدفاع اقتبس هنتوف قول أليكسيس دوكفيل في الديمقراطية في أمريكا الذي يقول: "حق التجمع هو حق لا يمكن التصرف به مثل حرية الفرد."[٩٣]

ولكن مثل هذه الحقوق هي ضحايا مبكرة في حرب ثقافية لن يكون فيها أي هدنة. التقليديون يستطيعون أن يهربوا، ولكنهم لا يستطيعون أن يختبئوا. ومع اجتثاث المسيحية من مدارسنا العامة، ومن الميادين العامة، فإن مدارسنا الخاصة ومؤسساتنا الخاصة ستكون هي التالية في دورها. ومن خلال طعم المال العام سيُجعل الجميع بلا إله، وسيُجبر الجميع على الانسجام مع تعاليم الثورة التي تصرح وتقول بشكل لا يخطئ: "جميع أنماط الحياة متساوية". ومن يَقُلْ غير ذلك فدعوه ليكن ملعونا. ما هو إذن مستقبل الغرب؟ مرة أخرى من إليوت:

> إذا ذهبت المسيحية فكل ثقافتنا ستذهب معها. وبعد ذلك يجب أن تبدؤوا ثانية بداية مؤلمة، ولا تستطيعون أن تنتجوا ثقافة جديدة جاهزة الصنع. يجب عليكم أولا أن تنتظروا العشب لينمو ليطعم الغنم التي تعطي الصوف الذي سوف يصنع منه معطفكم الجديد. يجب أن تمروا عبر قرون عديدة من البربرية. ولن تعيشوا لتروا الثقافة الجديدة، ولن يعيش ليراها أحفاد أحفاد أحفاد أحفادنا، وإذا لم نعش نحن، فإن واحدا منا سيكون سعيدا فيها.[٩٤]